اشتغال الحدث التاريخي في الرواية الصوفية الجزائرية المعاصرة

رواية"سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" لـ عبدالقادر عميش

Historical events in the contemporary Algerian Sufi novel
The novel "Silence .. the wise Isabel speaks" by - Abdelkader Amich

د. باية غيبوب[1]

[1]جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف(الجزائر)، البريد الإكتروني Baya02ghiboub@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/22 تاريخ القبول: 2021/08/31 تاريخ النشر: 2021/12/23

الملخص :

ملخص:

تنهض رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" للروائي عبد القادر عميش على تقنيات ترويض السّرد الصوفي للتاريخي،بعد إفراغه من صرامة طابعه التوثيقي وإعادة حكيه وسرده وإشباعه بالمتخيل الصوفي وما يتضمنه من ثقافات روحية وسياسية وإنسانية.

نسعى من خلال بحثنا هذا إلى الوقوف على مدى جاهزية الرواية الصوفية الجزائرية المعاصرة وقابلية آلياتها الفنية كالتعجيب الكرامي لأحداث مقاومة الشيخ بوعمامة وعلاقتها بشخصية إيزابيل إبرهارت التاريخية، وذلك لحث المتلقي على إعادة قراءة تاريخ هاتين الشخصيتين من منظور فني جمالي تدبّري.

كلمات مفتاحية:

الحدث التاريخي/الرواية الصوفية/إيزابيل/ الشيخ بوعمامة/سكوت العارفة.

Summary:

The novel "Silence .. the wise Isabel speaks" by novelist, Abdelkader Amich, relies on adapting the techniques of Sufi narration to Historical Imagination, after remove all the contents of the rigor of his documentary nature, re-telling, narrating, and saturating him with

المؤلف المرسل: د. باية غيبوب

mystical imagination and history. Moreover, It contains spiritual, political, sophist modes of writing

We seek through this paper to determine the readiness of the contemporary Algerian Sufi novel, and the sensitivity of its artistic dimensions, such as Al-Karāmah (Saintly Miracle) for the events of Sheikh Bouamama's revolution and its relationship with the historical character of Isabel Eberhart, to urge the reader for interpreting the history of these two characters from an artistic, aesthetic and thoughtful perspective.

Keywords:
The historical event/The Sufi novel/Isabel/Sheikh Bouamama/ Silence .. the wise Isabel speak.

1 – مقدمة:

يدرك المتلقي لرواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" للروائي عبدالقادر عميش عُمقَ وتنوع حوارية الرواية الصوفية الجزائرية المعاصرة مع مختلف الثقافات والفنون القولية وغير القولية المستدعاة ،صانعة بذلك شعرية وجمالية الإيهام بموضوعية المحكي وواقعيته،خاصة ما تعلق بالأحداث التاريخية ،كحدث مقاومة الشيخ بوعمامة وعلاقة شخصية إيزابيل إبرهارت بهذه المقاومة ،حيث تستفز هذه العلاقة في أحداثها وشخصياتها المتلقي ليُسائل النص بجملة من الأسئلة المشروعة على سبيل :أين تقع حدود التاريخي من المتخيل الروائي في بناء السرد الصوفي لهاتين الشخصيتين التاريخيتين ؟وما حدود مشروعية الروائي في تعديل صورتهما التاريخية وفق مستجدات زمانه السيّاسية والفكرية والفنية؟ وهل تمكن السرد الصوفي العرفاني في رواية"سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث"من تفعيل حسّ المتلقي بأهمية هاتين الشخصيتين وتعميق قيمهما الإنسانية والثورية والدينية والأدبية في ذهنه؟ومن هذه الأسئلة التكوينية لهذا المتن الروائي نسعى في هذه الورقة البحثية لمعرفة مدى تحقق قدرة السرد الصوفي المعاصر في مناولة الحدث التاريخي والشخصية التاريخية وتصويفهما ،وذلك بإضفاء طابع الحكي الصوفي ببعديه الفكري والجمالي..قصد اكساب النص الروائي الجزائري الصوفي المعاصر هُويته السردية الصوفية المغايرة بالتعويل على إشباع التاريخي بالصوفي.

2 – التخييل الصوفي لتاريخ مقاومة الشيخ بوعمامة :

تستعين الرواية الصوفية المعاصرة بالشخصية الصوفية المرجعية للكشف عن هوية المتن الروائي ووسمه إبداعيا بالبعد العرفاني وذلك باستدعاء تيمات صوفية تبزر ملمح المحكي ،وقد يكون ذلك انطلاقا

من عتبة الرواية كذكر اسم شخصية صوفية معروفة من أمثال؛ابن عربي أو النفري،ويؤول ذلك بصفته تنبيها خطابيا للمتلقي بأن النص الذي يباشره نصا صوفيا.إذ جاء في عتبة رواية"سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" :

موقف الأمر:

"قال لي أكتب من أنت لتعرف من أنت..

وقال لي الوقفة وراء ما يقال والمعرفة منتهى ما يقال..."[1]

كما قد يلجأ الروائي إلى تشكيل شخصياته الصوفية كأبطال لخطابه السردي مستعيرا لها قيم المتصوفة الروحية والفكرية،وذلك لما تحمله المرجعيات الصوفية من نماذج تاريخية وأخلاقية قصد تحيين زمنا من التاريخ الجزائري الثوري والأدبي،للتعبير عن شخصية عرفت بصوفيتها وتمردها،مثل شخصية إيزابيل إبرهارت وشخصية الشيخ بوعمامة،قصد استحضار راهن الوضع المغاربي في علاقات دوله القلقة المتوترة،المتباينة في انتماءاتها إلى القوى العالمية وفي وجهات نظرتها الإقليمية،تحت ضغط ومصالح القوى الكبرى على حساب الأواصر القومية والدينية واللغوية والتاريخية المشتركة.أو قد يلوذ الروائي بقناع النموذج الصوفي للنقد الساخر من بعض المواقف الاجتماعية والإيديولوجية والسياسية،كما هو في روايات الطاهر وطار..غير أنّ شخصية إيزابيل إبرهارت في رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث"جاءت مختلفة ،لأنها في واقعها التاريخي شخصية متصوفة ،وفي هذا يقول بشير خلف في قراءته لكتاب "الطريق إلى القنادسة" متحدثا عن مبدئها الصوفي:"كانت قد حرصت على أن تبقى وفية له باستمرار على قاعدة المبادئ التي تؤمن بها. لقد عاشت له ولتجربتها الروحانية.وتدلّ الكتابات المنقولة عنها أنها عاشت تلك التجربة كنوع من تفجر بداخلها وهذا ما عبرت عنه هي نفسها بالقول:أحسست بسمو لا اسم له يحمل روحي نحو مناطق مجهولة من النشوة. لقد بدأت إيزابيل إبرهارت تجربتها الروحانية بنوع من "الإحساس الغامض" ثم استمرت في الذهاب بعيدا بحثا عنه وصولا إلى حالة تصوف عميقة" [2] .

ومن هنا نلفي الروائي عبدالقادر عميش في روايته هذه يسعى للبحث عن وسائل فنية يتسلل بها إلى منطقة الأحداث التاريخية المشتركة بين الجزائر ودول الجوار، كالمغرب، وخاصة الأحداث ذات العلاقة التاريخية ببطلة الرواية في واقعها التاريخي الحقيقي، فينتقي الروائي حدثا مفصليا في تاريخ المقاومة الجزائرية بقيادة الشيخ بوعمامة، حدث اقتناء المقاومة لأول سلاح أوتوماتيكي. فالقارئ الخبير المتذوق لمثل هذة المتون الصوفية في أسلوبها، المعاصرة في تقنيات تقديم أحداثها، لا يهمه الحدث الذي يقدمه السارد،

لأن معرفته به قد تكون سابقة، بقدر ما يهمه الكشف على فنيات إمتاع القارئ من خلال تخير الكاتب لحيله الفنية في تحويل الوقائع التاريخية المحلية إلى متخيل إبداعي، ينفتح على آفاق إنسانية وعالمية ووجدانية، وحضارية، وهذا ما يراه " تزفيتان تودوروف " في العمل الأدبي في كونه " قصة وخطاب في الوقت نفسه، بمعنى أنه يثير في الذهن واقعًا ما وأحداثا قد تكون وقعت وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية، وقد كان بالإمكان نقل تلك القصة ذاتها بوسائل أخرى... غير أن العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه فهناك سارد يحكي القصة، أمامه يوجد قارئ يدركها. وعلى هذا المستوى ليست الأحداث التي يتم نقلها هي التي تهم إنما الكيفية التي بها أطلعنا السارد على تلك الأحداث "[3].

لقد اعتمد الروائي استراتيجيات التجريب في إطلاع القارئ على متخيل حيثيات أحداث المقاومة الجزائرية بقيادة الشيخ بوعمامة ضمن فضاء سردي أُطّر أسلوبه بأساليب الكتابة الصوفية الكرامية،مع العلم أن قراءة النصوص الكرامية"تحشر القارئ في عوالم من طبيعة فنطازية وغرائبية عديدة تنتهي به إلى تكوين صورة مغايرة تماما عن العالم والكون واللغة والشعور وغير ذلك ،ومن هنا هذه الإثارة التي جذبت سؤال الأدب والأدبية في النصوص الكرامية"[4].إلاّ أنّ في رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث " لايستحضر الروائي الكرامة العربية التراثية الصوفية أو المحلية الشعبية الجاهزة وإنما يختلقها ويبتدعها من لدن مخيال خلاق متوسّلا لغة الكرامة الصوفية ،والمعجزة النبوية وخوارق الغيب في القرآن الكريم فيبني بهذا كله أحداث شخصياته الصوفية برتبها المتعالية،رتبة القطب والوتد والعارف ، ومن تلك الاستراتيجيات الفنية رصدنا ما يلي:

2-1- تراجع الشطح الصوفي للراوي **في** سرد حالات الوجد والشوق الذي طغى على النسيج الروائي، إلا ما ندر، مكتفيا السارد بعبارات سيدتي وشيخي وقطبي محافظا على السمة الصوفية لنصه، لأن ما سوف يسفر عنه السرد من أحداث سياسية وحربية تنتفي معها موضوعيا حالات الوجد والغياب، بل تستدعي اليقظة والدهاء والتأهب سواء على مستوى شخصيات المتخيل الروائي، أو على مستوى التلقي، من حيث متابعة تفاصيل الحدث وترقب نهايته، لكن ما أن يفرغ السارد من سرد أخبار هذا الحدث الذي استغرق من نص الرواية حوالي خمسة عشر صفحة (ص99... ص116) حتى يكثّف السارد من إيقاعه الصوفي، مستغورًا سراديب الذات الغامضة القلقة ،وغياهيب أحوال الصوفية وطبقاتهم ورتبهم من مذاكرة ومجاهدة ووقفة وقرب وحلول وغيرها.

يتراجع صوت الراوي مكتفيا بدور المحفز على السرد وحكي الأحداث وعرضها، من خلال استفساراته وأسئلته لقطبه عن أخبار الشيخ بوعمامة ونشاطاته السياسية والمقاوماتية، ونقل هذه الأخبار للقارئ الافتراضي على لسان بطلته، فهي القطب العارف ، .مجسدا ذلك في المقطع السردي التالي: " يا سيدتي الفاضلة وهل التقيت بالشيخ بوعمامة؟ وما الذي دار بينكما من حديث؟ وهل كان لقاؤك به في المغرب أم في الحدود الجزائرية المغربية؟ "[5]. فإجابة قطبه عن هذه الأسئلة هي التي سوف تشكل مادة الحكي الروحي والتاريخي الثوري، ومع تنوع وتعدد أسئلة الراوي لسيدته سوف يستدعي تشظي الحدث الرئيسي الى أحداث ثانوية، وهذه الأخيرة استدعت كثرة من الشخصيات، متداخلة في خطاباتها بين الداعمة والمعارضة للمقاومة، مما يفرض على المتلقي قراءة حذرة أثناء تلقي هذا الجزء من الرواية للإمساك بخيوط أحداث المقاومة وتشظيها.

2 –2 ــ تشظي الحدث الرئيسي وتوالد الشخصيات:

إن حدث لقاء إيزابيل بالشيخ بوعمامة لم تؤكده في مذكراتها واكتفت فقط بالتلميّح له ، وهنا يأتي دور الإبداع في استثمار هذا الفراغ التاريخي ليبدع أحداثا متخيلة استنادا لما وثقته في مذكراتها"كتابات على الرمال" [6] ★

ومن تصريحاتها قولها أنها قد التقت بأحد أقارب بوعمامة وهو السي محمد بن منور، قريب ونسيب بوعمامة في زاوية سيدي بوعمامة القديمة ببني ونيف،والتقت هناك بابن الشيخ والذي تقول عنه أنه الخادم الأكثر إخلاصا لبوعمامة في بني ونيف.[7].وقد سردت الحديث الذي دار بينهما وهو يدعوها إلى زيارة بوعمامة:"عليكَ أن تذهب لرؤية سيدي بوعمامة يا سي محمود★ ،فبصحبتي وبحماية السي أحمد، ليس هناك ما تخشاه،ستذهب إلى زاويته،وكأنك تأتي إلى هنا.أما سيدي بوعمامة فسيستقبلك فاتحا ذراعيه وكأنك إبنته...عليك أن تفعل ياسي محمود ،وفيما بعد عودتك ،يمكنك أن تقول للفرنسين:"رأيت بوعمامة ولم يصبني بأي سوء.استقبلني جيدا،مثلما يستقبل المسلمين الجزائريين،إنه ليس عدوّ فرنسا،وهناك سوء تفاهم بينهما.."

انصتّ له ورددت عليه مراوغة:

ـ إن شاء الله. سأذهب !

ـ ربما أذهب في يوم من الأيام..."[8]

ومن الشهواهد التوثيقية الأخرى والحقائق التاريخية الفعلية ـ ذات العلاقة بمقاومة الشيخ بوعمامة وإيزابيل إبرهارت ـ أسماء شخصيات حقيقة وأخبار وأحداث صحفية ووثائق وتقارير تاريخة :

- **أسماء شخصيات حقيقية** مثل: بوسماحة فرجي دليلها إلى الشيخ بوعمامة (ص100)/ الزرهوني بوحمارة قائد المقاومة (المعارضة) المغربية (ص101) /الأمير عبد المالك الجزائري قائد جيش بوعمامة (ص101)/ سي الصوفي بن عبد القادر مهرب أسلحة (ص101) / الجنرال ليوطي قائد الجنوب الوهراني (ص102) / السلطان مولاي عبد العزيز ملك المغرب (ص 104) / الخونة؛ القائد قدور ولد عدة والحاج قدور الصحراوي (ص108) / السلطان العثماني عبد الحميد (ص109) / مولاي رشيد أمير مغربي (ص110) / ألكسندر تروفميسكي والد إيزابيل الروحي (ص115)...
- **الجرائد الناقلة لأخبار المقاومة**:جريدة الأخبار، إيزابيل مراسلة لها(ص104) / جريدة لوغولوا (ص105)/ جريدة الأنطر نريجان والعدالة(ص105)/ جريدة التايمز اللندنية ولومتان (ص107)...
- **وثائق وتقارير تاريخية**: تقرير رقم: 50 المؤرخ في : 1903/11/14 من الجنرال لوي هوبير غونزالف اليوطي Louis hubert gonzalve، قائد الجنوب الوهراني إلى السيد " ديلكسي " وزير الشؤون الداخلية الفرنسية، ونسخة موجهة إلى السيد Renet taillandier – saint وزير الجمهورية الفرنسية بطنجة المغربية يتحدث فيه ليوطي عن مضايقات جيوش الشيخ بوعمامة للمستعمر الفرنسي وخطة القضاء عليه.[9]

فهذه الوثائق والشهادات التاريخية المستدعاة بصفتها تناصا وبقايا نصوص تقرأ هنا ضمن الإطارالإبداعي جماليا بعد أن جرّدت من صيغتها التاريخية الصارمة،وفي هذا يبين عبدالله العروي أهمية الوثائق التاريخية في المتخيل الروائي حيث يقول:" المعاهدات والعقود العدلية والقرارات الإدارية والرسائل الديبلوماسية ...إلخ،ولا شكّ أن هذه تمثل من جهة بقايا من إنجازات الماضي لكنها من جهة ثانية تمثل شهادات عن وقائع ،ومن هذا المنظور يجب أن تضاف إلى أقوال الشهود ،كما أن الأخبار المروية تكتسي وجهين اثنين مهما استخففنا بهما كروايات فإنها تحتفظ بمجرد كونها رواية ،بقيمتها كشهادة"[10] .فالوثائق التاريخية الواردة في رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" تؤكد أهمية المرجعية التاريخية في العملية الإبداعية في نظر الروائي ،وذلك لأمرين هامين:

أولهما: استنفار قضايا الحاضر واستشعار القارئ بمستقبل العلاقة المغاربية.

وثانيهما: استثمار التاريخي كتقنية تمويهية على صحة أحداث المتخيل الروائي وذلك من منظور إبداعي فني جمالي بتغليب القيمة الجمالية على القيمة التاريخية .ففي فضاء النص الروائي يُقرأ التاريخي بصفته فنا متخيلا أعيد إبداعه وقد أضحى مكونا جماليا ضمن سجل المسرود..

يلخّص الجدول التالي أهمّ الأحداث التي أحصيناها في هذا الجزء من الرواية ،ابتداء من الصفحة(99... 116)،والتي خصصها الروائي لمقاومة الشيخ بوعمامة وعلاقة شخصية إيزابيل بها،في حوالي أربعة عشر حدثا متفاوتة في أهميتها التاريخية والفنية.كلها متشظية عن الحدث الرئيسي،المتمثل في حدث لقاء بطلة الرواية بشيخ المقاومة،في سرد رؤيوي صوفي،مستشهدين لذلك بنماذج سردية ،تسرد هذه الأحداث في ارتباطها المطّرد بعدد من الشخصيات المتداخلة في خطاباتها ورؤاها اتفاقا أو تعارضا في انجاز الأحداث المسرودة.

الحدث الرئيسي	الأحداث المتشظية	المقاطع السردية
	1- حدث طي الأرض وقبض الزم لإيزابيل وتحقق حلمها بلقاء الشيخ بوعمامة	<< خرجتُ مع بوسماحة فرجي وكان الوقت صيفا من زاوية سيدي سليمان بوسماحة إلى زاوية الشيخية زاوية سيدي عبد القادر بن محمد، وهنا التقيت بسي بوعمامة ... استمع إلى حديثي وأجاب عن معظم أسئلتي ...>> (ص101/100)
	2 – استلام المقاومة لأول سلاح أوتوماتيكي وتحسن أوضاع المقاومة	يقول بوعمامة لإيزابيل: - << هذه الأيام فتح الله علينا فقد استلمنا أسلحة أوتوماتيكية ومدافع من صنع ألماني وإسباني . وقد وعدني سي الصوفي بن عبد القادر بالمزيد إن شاء الله... لقد زارني الاسباني غوماز الغرناطي تاجر الأسلحة.

		وتمت الصفقة ووقعنا الاتفاق>>(ص101)
لقاء إيزابيل بشيخ المقاومة الجزائرية بوعمامة	3 – حدث سعي الجنرال ليوطي لبث الفتنة بين المقاومة الجزائرية وقبائل المغرب وحث المخزن والسلطان مولاي عبد العزيز على طرد عناصر المقاومة الجزائرية من الأراضي المغربية.	– تقول إيزابيل :<< لقد أخبرني الجنرال ليوطي أن بوحمارة هو الذي يمدك بالأسلحة >>(ص102) – يجيبها بوعمامة : <<إنه يسعى بكل ما أوتي من خبث ليوقع بيننا وبين إخواننا المغاربة ...عليك اللعنة يا ليوطي >>(ص102) – <<بالرغم أنني برهنت للقبائل المغربية التي آوتني مع جيشي، برهنت لهم أنني لست فتّانا كما تدعي فرنسا وكما أكدنا لهم رفضنا الدائم لبيعة بوحمارة... لأنه متمرد على السلطان...>> (ص104/103)
	4- معاهدة لالة مغنيةوملاحقة المجاهدين داخل التراب المغربي وتأديب قبيلة " بني زناسن " والقضاء على انتفاضة الحاج ميمون في معركة تفوغالت (ص110) .	– ويضيف بوعمامة قائلا عن ليوطي : << فهو لا يتوانى على التخطيط للإيقاع بيننا وبين المخزن وأحيانا يهدد السلطان مولاي عبد العزيز بأنه إن لم يخرجنا من الأراضي المغربية سوف يستعمل حقه في ملاحقتنا داخل أراضي المملكة، وذلك حسب ما تمليه اتفاقية "لالة مغنية" >> (ص106/105)

	5 – تقرير ليوطي إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية يعلن عداءه لبوعمامة وخطة القضاء على مقاومته	– << يرى أنصارنا جميعا هو العدو الألد، وأن الزوابع والفتن والإضطرابات هو الذي يقف وراءها جميعا، وهو الذي يجب أن نقضي عليه لنتخلص منه، وتتجه رغبتي في القيام قريبا... وهو ما لم أعد مستيقنا من إمكان تحقيقه، أو تشتيت زاويته تشتيتا كليا على الأقل>> (ص103)
	6- حدثُ منشور جريدة التايمز اللندنية في عددها ليوم 1881/05/11 عن الأسرى الإسبان واستفحال المقاومة .	تقول إيزابيل لبوعمامة: <<إسمع ما قالته جريدة التايمز اللندنية : إنه لم يحدث قبل بوعمامة وأن زعيما ثائرًا يستولي على ثلاثة مائة أسير وألف غرارة من الشعير والقمح وغيرها من الغنائم المتنوعة>>(ص107)
	7- حدثُ الخلاف الديبلوماسي بين باريس ومدريد بسبب خسائر الحرب مع بوعمامة وطلب التفاوض معه واطلاق سراح الأسرى الإسبان بوساطة الجنرال طومسون	<< مسألة التعويضات بسبب الخسائر التي تكبدتها إسبانيا في تلك المعركة، حيث مات من الإسبان المتطوعين في صفوف القوات الفرنسية الكثير منهم، وتم أسر المئات ...>> (ص106)
	8- حديث بوعمامة للأسرى بشأن أسرهم	– << لقد أفهمت أولئك الأسرى الإسبان وكان عددهم يومها يا بنيتي إيزابيل ثلاثمائة إسبانيا. كلهم من عمال الشركة الفرنسية الجزائرية للحلفاء. لقد قلت لهم يومها: " يجب أن لا يُفهم قتالنا في إسبانيا وأوروبا على أنه عداء مزمن

		محكم بين المسيحية والإسلام أو بين المسلمين والمسيحيين، بل على أنه كفاح لتحرير الوطن المسلوب واسترداده" >> (ص107)
	9- إخبار إيزابيل بوعمامة بالحيثيات العسكرية التي حشدها له ليوطي في معركة سفيسيفة	- << ما أخبرني به ليوطي هو أنه حشد لتلك المعركة ثلاثة فيالق من المشاة تحت قيادة" إينوسانتي" كما حشد فرقتين يقودهما القائد قدور ولد عدة، وفرقة تيارت يقودها الحاج قدور صحراوي >>(ص 108).
	10- حدثُ اتفاق السلطان العثماني عبد الحميد والسلطان مولاي المغربي عبد العزيز والمخزن المغربي على دعم وتعزيز مقاومة بوعمامة.	- تقول إيزابيل: << يا سيدي بوعمامة لقد سمعت من ليوطي أن فرنسا قلقة من علاقتكم المشبوهة مع السلطان العثماني عبد الحميد... وأنه يقول أن جواسيسها في اسطنبول يؤكدون على أن السلطان عبد الحميد كان وراء صفقة الأسلحة الأوتوماتيكية المتطورة... التي شحنت لكم من ميناء إسباني ... بل إن ليوطي كان متأكدا كما يزعم من تواطؤ سلطان المغرب مولاي عبد العزيز بشكل مباشر وأن المخزن هو الذي يؤمّن لكم نقل تلك الأسلحة ...>> (ص109). - << و اعلمي يا بنيتي إيزابيل أن

		السلطان عبد الحميد قد أكد لي هو شخصيا بأنه سوف يراسل سلطان المغرب ليقنعه بعدم مضايقة المخزن المغربي لتحركاتنا...>> (ص110).
	11- صناعة المقاومة للسلاح الأوتوماتيكي.	- تقول إيزابيل:<< ... شد انتباهي بندقية موكوءة إلى جدار مقابل ... تعرفت على نوعها ... إنها بندقية "لشَاسبُو chassepot" التي تشبه البندقية الأمريكية التي استعملت في إبادة الهنود الحمر " ونشيستر winchester" ...>> (ص110) - << أتعرف يا سي محمود أن الشيخ بوعمامة قد صنع ثمانية عشرألف بندقية من نوع " لشاسبو "؟ ...>> ص (111).
	12_ حدث استعمال سلاح المقاومة الجديد في قنص الخونة	<< - وهل فعلا حدث أن أحد الرماة المهرة من جيش بوعمامة قتل الآغا "قدور صحراوي..." - نعم... ذلك صحيح... لقد أخبرني ليوطي بنفسه بذلك لقد قتله قناص بوعمامة من مسافة بعيدة جدًا... وأن ذلك القناص كان أول من جرب بندقية " لشَاسبو " أو كما يفضل ليوطي تسميتها " ونشيستر " بوعمامة >>(ص111).

	13- إهداء بندقية لشاسبو المحلية الصنع للسلطان عبد الحميد باسطنبول أثناء زيارة عبد المالك الجزائري له	- <<نعم ... لقد حدث ذلك بالفعل ... لقد أخبرني في ذلك اللقاء مع سيدي بوعمامة. أنه لما سلم السلطان عبد الحميد بندقية " لشَاسبو " ولما أخرجها السلطان من غمدها الحريري أصيب بالذهول، ثم قبلها وقد أغمض عينيه للحظات ... >> (ص 112).
	14- حدث صب إيزابيل الماء على يد بوعمامة واستذكارها لوالدها الروحي ألكسندر ...	- <<... كنت وأنا أصبّ الماء على يدي سيدي بوعمامة أستحضر تلك الصورة التي كنت فيها أصبّ الماء على يدي شخص عزيز على قلبي وأنا هناك في جنيف، إنه والدي الروحي آلكسندر تروفميسكي ... اعلمي يا بنيتي إيزابيل أن خدمة الشرفاء والعظماء وطاعتهم طاعة الله وتقرّب منه...>> (ص 115).

وهناك أحداث أخرى ثانوية نكتفي بالتلميح إليها فقط ،كأحداث منشورات وأقوال شخصيات أدبية وسياسية ذات فكر متوازن وعادل تجاه المقاومة الجزائرية، اقتطفتها بطلة الرواية إيزابيل من جرائد مختلفة بصفتها صحفية مراسلة، وعرضها على الشيخ بوعمامة يوم لقائها به، كمقول: "قي دوموبسان Guy de maupassant" في جريدة لوغولوا: 26 أوت 1881 تقرأه إيزابيل على مسمع بوعمامة: "نحن بقينا قساة غير لائقين، معجبين بأفكارنا... نحن الذين كنا هيئة بربرية... ضمان استعمارنا يقوم على تخريب العرب... ونزع ملكيتهم، نحن هنا نتكيف مع الظلم ما دمنا نعيش في الظلم!! »[11]

ويبرهن السّارد على سعة اطلاع بوعمامة على ما كان يكتب و يقال عن المقاومة، فيُذكّر إيزابيل بمقالات في جريدة "الأنطر ناريجان والعدالة " التي يندد أصحابها بالقمع المسلط على شعبنا، أمثال الصحفي " شارل للنقي " و "كامبل بولطن " ... [12]

إضافة إلى أحداث المقاومة ، هناك أحداث يصنع بها السارد حميمية العلاقات ذات الطابع الأنثروبولوجي الاجتماعي المتقاطع مع دول الجوار ،من خلال ما كان يُقدم لإيزابيل من ضيافة كالشاي والكسكس المغربي وغيرها من العادات الشبيهة بعادات الإطعام والضيافة الجزائرية . لا يحتاج هذا الحدث الهامشي المتخيل والمبتدع ضمن تاريخية الحدث الرئيسي إلى برهنة على صحة حدوثه،كتلك الحيثيات الاجتماعية المرافقة لحدث لقاء إيزابيل الفعلي بالشيخ بوعمامة،والتي جسدتها تلك المدارات السردية المتخيلة التي ابتدعها الروائي حول بؤرة الحدث الرئيسي.فهذه الإضافات الموسعة لنواة الحدث التاريخي من شأنها أن تكسب النص الروائي مصداقية التلقي،حيث يقوم الروائي" مستخدما التخييل ،وإعادة بناء المرحلة التاريخية التي يتخذها موضوعا له بعملية تركيب جديدة للوقائع وللأحداث والظرف التاريخي والشخصيات المذكورة ،في حوليات تلك المرحلة، مضيفا إليها شخصيات متخيلة تساعده في تأثيث المكان،واستعادة اللحظات الإنسانية والأزمنة الراحلة لشخصياته الحقيقية والمتخيلة،ولا يختلف عمل المؤرخ بهذا الخصوص كثيرا عن عمل الروائي"[13] .

2 ــ 3 ـ قراءة لأحداث المقاومة المثبتة في الجدول:

خلُصت قراءتنا لمسرود أهم أحداث مقاومة الشيخ بوعمامة المدرجة ضمن الجدول السابق إلى ما يلي:

ـ رغبة الكاتب في تأصيل منظور جديد للرواية الصوفية الجزائرية المعاصرة ،يُعول طابعُها التجريبي في تحوله الخطابي على المنحى الصوفي ،من خلال " صوغ الذاتي للخطاب بعيدا عن المونولوجية الأحادية الاتجاه "[14] لينتج بها السارد شعرية وجمالية الخطاب الكرامي العجائبي ،والذي تنوط بانجازه شخصية روح إيزابيل والذات السّاردة لأناها،إلاّ أنّ نص رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" يختلف عن نصوص الكرامات التراثية،حيث هذه الأخيرة " أحادية البنية تقتصر على ذكر الأحداث الأساسية التي لها علاقة مباشرة بوقوع الفعل العجائبي، حيث يركز راوي الأخبار الكرامية على ما له علاقة وطيدة بولاية البطل ،وما قد يستوجبه المقام من إظهار كرامات تعوض النَّقص بجلب منفعة أو دفع ضرر " [15] لكن السّرد الصوفي في رواية الكاتب عبدالقادر عميش جاء متعدد البنى القصصية ،إذ لم يتوقف الحكي عند عجائبية

الأحداث الكرامية لشخصية بطلة الرواية والراوي ،وإنما اتخذ السّارد هذا النمط من الأحداث مطية جمالية دلالية يَرْكَبُها السّردُ للسّفر نحو تاريخ أحداث مقاومة الشيخ بوعمامة .

2-4- الحدث الكرامي/ تصويف المهمة الصحفية لإيزابيل:

قبل أن يحتدم السرد في بسط أحداث مقاومة الشيخ بوعمامة ،يمهد السّارد بشذرات من سيرة إيزابيل الصحفية في تقفيها لأخبار المقاومين وتعاطفها معهم وتنقلاتها إليهم ،في متخيل إبداعي شكلته لغة الكرامة الصوفية وخوارقها .

يقتطف الروائي أخبارا عن نشاط إيزابيل إبرهارت الصحفي حيث أحداث المقاومة ،فيلبسها رداء صوفيا ،تتجلى علاماته في التجلي والاختفاء ،وطي الأرض وقبض الزمن ،متخيرا حصانها سوف وسيلة لإنجاز عجائبية كرامتها ،متماهيا في وظيفته المتعالية لحدّ الخرق والانتهاك مع براق إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث تقول إيزابيل :"لقد انشغل الناس باختفائي في شهر أغسطس 1904. لم أختف بمعنى الاختفاء بل كل ما في الأمر هو أنني دخلت زمنا لا أعيه تماما،وربما كان منة وفضلا من ربي، بل كنت اتنقل بين منطقة وأخرى وهذا لما اشتدت المقاومة وتلاحقت هجمات المقاومين...وقد سهل الله لي طيّ الأرض وقبض لي الزمن ،فكنت أتنقل ممتطية سُوف حصاني الغالي إلى المنقار ثم في لمح البصر إلى تاغيت،وما أن أُدوّن أهم أحداثها يشق بي سُوف بحر الصحراء ،حين سمعت بأحداث قمع سكان قصر صفيصفية بالمنقار مرة أخرى .وفي كل مرة تحدثني نفسي أنني سألتقي بشيخي وقطبي بوعمامة...آه يا عزيزي لو رأيته...كان اسمه كافيا لإحداث الرعب القاتل في نفس عدوه."[16]

يشتغل السرد في هذا المقطع على تفاعل وتداخل جملة من السيّاقات في نسق تنزاح لغته عن المعجم الصوفي الخالص،سرد يروم تحيين السيرة الصوفية والتاريخية والصحفية والإنسانية لشخصية إيزابيل ،مرسخا بها بعض الحقائق الدينية والتاريخية،منها؛ حدث إسراء النبي صلى الله عليه وسلم في زمنيته المطلقة ،اللاّمفسّرة ليتسرب من خلالها إلى تحيين تاريخ أحداث مقاومة الشيخ بوعمامة، وبهذا التفاعل بين المتخيل الصوفي والتاريخي ،يبني السّارد ولايةَ شخصية إيزابيل وكرامتها في ذهن المتلقي ويرسخها بسرد أحداثها الكرامية بسرد خوارق تنقلها،ففي تماهي كرامتها ـ طي الأرض وقبض الزمن ـ بمعجزة إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي سياق الحديث عن مرجعيات الولي في كرامته يقول عبدالفتاح كيليطو :" الولي ملزم ضمنيا بالانخراط في صفّ من سبقوه ،أي أنه ملزم بالاندماج في أسرة الأنبياء والأولياء ،لأن هذا

الاندماج هو الذي يؤكد جدارته واستحقاقه ،ويمنحه بعدا دينيا لا يتحقق بصفة تامة في حالة انفراد الولي بكرامة لا مثيل لها في الماضي"[17].

إنّ الحدث الرئيسي المتمثل في رحلة بطلة الرواية وعجائبية /كرامية حدث طيّ الأرض وقبض الزمن لبلوغ إقامة شيخ المقاومة بوعمامة وما تشظى عنه من أحداث أخرى ،والتي أحصيناها في أكثر من أربعة عشر حدثا ، يتعدى وظيفته كحافز دينامي يحقق عجائبية الحدث ومن ثمة مستوى ولاية البطلة وكراماتها،إلى منطقة عبور ،يختزل بها السّارد مسافة السرد ليقفز إلى نقطة متقدمة في خطّ سير السّرد، حيث أحداث هذه المقاومة وحيثياتها ،صابغا على قطب المقاومة /شخصية الشيخ بوعمامة الخصائص التالية:

ـ إضفاء الهالة الصوفية على الشيخ بوعمامة ،إشارة إلى صلاحه وتقواه

ـ انفتاح الشيخ بوعمامة على الآخر الأوروبي "الإسباني والألماني والتركي" بهدف خدمة المقاومة وتطوير عدتها الدفاعية

ـ خطاب بوعمامة الإنساني التسامحي عند المقدرة، الموجه للعمال الإسبان السجناء الذين جلبتهم فرنسا للعمل بشركة الحلفاء في الجزائر،قائلا لهم: " لقد أفهمت الأسرى الإسبان العاملين في الشركة الفرنسية الجزائرية للحلفاء ،أعرف وضعكم بصفتكم عاملين في شركة الحلفاء ولكنكم أيضا بعملكم هذا فأنتم جزء من الوجود الفرنسي في أرضنا. ولو أنكم جئتمونا رجالا مسالمين لشاطرناكم طعامنا لأننا نحترم دينكم كما لنا ديننا".[18]

ـ سعة اطلاع بوعمامة على الإعلام المحلي والعالمي ،وعلى كل ما له علاقة بالمقاومة والقضية الجزائرية أنذاك.

ـ الإشادة بالدعم العثماني والمغربي للمقاومة غير المباشر،وربما السرّي.

ـ تبرئة بوعمامة مما ألصق به من تهم تشينه "الفتّان" التي وصفته بها بعض الأطراف السّياسية في المغرب تحت الضغط الفرنسي.

ـ يُسقط السّارد عن شخصية بوعمامة صفة "الفتّان" هذه، للإشارة إلى راهن العلاقة المتوترة بين الجزائر والمغرب،والتي هي من كيد فرنسا وأتباعها الممتدّ عبر التاريخ.وبهذا تكون رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" قد استدعت الحدث التاريخي قصد "إعادة عرضه تمهيدا لاستثماره ممزوجا بتوضيحات واستكمالات يفترض أنها غُيّبت عنه ،إن الرواية التاريخية تقدم لنا صورة فنية كلية تضيف البعد العاطفي

الوجداني بعدا ثالثا تدخل من خلاله عناصر الإبداع الفني"[19]وهذا ماينطبق على كل الأحداث التاريخية الواقعية التي حاولت الرواية توسيعها بالتعديل حذفا أو إضافة،لتحقيق ذلك التراسل الوجداني بين الراوي الفعلي وشخصية بوعمامة..

2 –4 – تصويف خطاب المقاومة وتوسيع أنساقه المضمرة:

يعمد الروائي عبدالقادر عميش في روايته "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث"إلى البحث عن كل ما من شأنه توثيق العلاقة السردية بين التاريخي والصوفي من خلال شخصيتي؛ إيزابيل الناقلة لأخبار المقاومة وأحداثها وفواعلها،وقطب المقاومة الشيخ بوعمامة.فيبحث الروائي في تاريخ حياة إيزابيل إبرهارت الحقيقية خارج المتخيل السردي،ليجد شخصية والدها الروحي القس الزاهد "ألكسندرتروفيميسكي" ،ليعضّد به صوفية وسماحة الشيخ بوعمامة وإيزابيل،حيث يلجأ إلى العلاقة بين هذه الشخصيات الثلاث من خلال آلية الاسترجاع،بها يتراجع الراوي عن مهمة الحكي محيلا دفة الحكي لشخصية إيزابيل ،وهنا تتضاءل معرفة الراوي بالعمق الداخلي للشخصية، فهو يقدمها كما يراها ويسمعها حتى يصير الراوي من الشخصية ،أو كما يسميها تودوروف الرؤية من الخارج [20].فيعقد هذه العلاقة الإجابية بين هاتين الشخصيتين لحظة صبّ إيزابيل الماء على يدي بوعمامة،إنه الحدث المفارق والذي يمثل نقطة سير السرد إلى الأمام.ومن ثمة يشكل لحظة استرجاع ،استرجاع أحداث تقع خارج حدود الحكي المحقق سرديا والمثبت كتابة،بحيث نتعامل معه حكيا وقراءة على أنه حكي مختلط mixte بين الداخل والخارج،يستدعي من خلاله السّارد أحداثا لم يحكها بعد ليوضح بها أو يوسع حدثا يشكل سؤالا افتراضيا لدى المتلقي لم يدرج ضمن ميثاق المحكي.

يستدعي صبّ الماء على يدي بوعمامة تشابهات وتقاطعات عدة، في القيم والفكر،رغم الاختلافات البيّنة بين شخصيتي بوعمامة وألكسندر في مرجعيتهما الدينية والاجتماعية والفكرية،يهدف السّارد في استعانته بهذه الخلفية النصية من يوميات إيزابيل إبرهارت إلى تشييد متخيل معمارية السرد الصوفي لشخصية إيزابيل،ويمكننا تجلية هذه الأنساق المضمرة المتقاطعة بين شخصيتي الشيخ بوعمامة والقس ألكسندر تروفيميسكي في ما يلي:

ـ روحانية الشخصية:

يشير حدث صبّ إيزابيل الماء على يدي بوعمامة واستذكارها لحدث صبها الماء على يدي والدها الروحي ألكسندر في جنيف إلى قداسة الفعل وروحانيته.فإن كان صبّ الماء في الثقافة الغربية يخصّ النبلاء

والأسياد،فإنه في عادتنا العربية الإسلامية يشير إلى التقدير والإيثار.فتعاملها مع هاتين الشخصيتين له دلالته الروحية، في كونهما مصدر إيمانها وإنسانيتها وعرفانيتها، وأنها المريد في حضرة قطبيْها،فهي العارفة المحدّثة في علاقتها وتفاعلها مع مختلف الشخصيات كما يوضح ذلك المتن الروائي،عدا مع هاتين الشخصيتين، اللتين تتحول في حضرتهما إلى مريد ساكت منصت.فنقطة التقاطع بين الشيخ بوعمامة والقس إلكسندر تتمثل في هذه الحالة الروحية ذات الطابع الصوفي باعتبار الصوفية عقيدة إنسانية وأن الجامع بين الأرواح يمكن التدليل عليه بقوله تعالى في سورة الحجر:" فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"[21]

وقوله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع:" "أيها النّاسُ إن رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإنّ أَبَاكُمْ واحِدٌ، كُلكُمْ لآدمَ وآدمُ من تُراب" فالمشترك بين الإنسانية أصله الترابي ونفخة الله فيه.

وكون الصوفية حالة روحية خارج خصوصية المعتقد الديني يرسم السّارد بلغة صوفية فضاء روحيا من فضاءات الحضرة في دار مقام إيزابيل الزكي،حيث اجتمعت فيه معظم أرواح الشخصيات ذات العلاقة بشخصية إيزابيل من جنسيات وأعراق متعددة ،فيشدّ انتباه الراوي بين هؤلاء المريدين شخص يجلس بحميمية إلى جانب إيزابيل،قائلا في سياق هذه الحالة الروحية الإنسانية في لحظات صفائها وشوقها إلى الأصل:" ولكن ما شدّ انتباهي وأدهشني ،هو حضور شخص تعرفت عليه ...كان الأب الروحي لها ألكسندر تروفيمسكي..وقد كانت فرحتي وربما دهشتي عظيمة وأنا أراه أمامي رأي العين وفي دار إيزابيل..كان وجوده في ذلك التجلي خارجا عن طاقة الوصف...ولم يكن هذه المرة يحمل الصليب في يده كعادته.."[22].

في لحظة صفاء روحي تزول فيها كل الفوارق والانتماءات العرقية والدينية والإيديولوجية،تتقاطع شخصية ألكسندر هنا مع شخصية الشيخ بوعمامة في تراسلهما مع الآخر المختلف، حيث يتجلى حضور إيزابيل في هذا المقام الروحي بين أُبوَّتين روحيتين قطبيتين وسعادتين،اللتين تمثلتهما شخصيتي الشيخ بوعمامة والقس ألكسندر.فكلاهما يناديها بابنتي.ومن المقولات التي تضمنت لفظتي"إبنتي/ والسعادة".قال "ولْد الشيخ" وهو يخاطبها مرغّبا أياها في زيارة بوعمامة:"..فسيستقبلك فاتحا ذراعيه وكأنك ابنته"هذا في واقعها السيري،أما في المتن الروائي وفي نفس السّياق يقابل الراوي بين لفظة ابنتي عند كل من الشيخ بوعمامة وألكسندر وتتكرر معها لفظة "السعادة" كلما كانت إيزابيل معهما.وعطفا على هذه العينة نذكر أمثلة أخرى:

- "وأخيرا جئتنا يا إيزابيل ..أهلا **يا بنيتي** ضيفة عزيزة في زاوية سيدي عبدالقادر بن محمد..

ـ قلت له وسعادة تغمرني حين سمعته يناديني **بابنيتي**

ـ يا سيدي سي بوعمامة أنت تعلم مقامك العالي في نفسي...**سعيدة** أنا بلقياك...

ـ ألست جائعة يا **بنيتي؟**

ـ آه يا عزيزي لو رأيتني وأنا أصبّ الماء على يديه الشريفتين قبل تناول الطعام...فأي **سعادة** تلك التي منّ الله بها علي؟

ـ وكيف وجدت الشيخ بوعمامة ؟..كان طيبا وحنونا..عاملني فعلا **كابنته** الحقيقية...

ـ كان والدي ألكسندر يقول لي دوما: اعلمي **يابنيتي** إيزابيل أنّ خدمة الشرفاء والعظماء وطاعتهم طاعة لله وتقرب منه."[23]

يسعى السّارد حثيثا إلى الاشتغال على وسائل أخرى يتمم بها تشكيل روحانية القس ألكسندر ،مضفيا على شخصيته من الصفات والأفعال الروحية بالقدر الذي يوثق به العلاقة الصوفية بين القس ألكسندر وإيزابيل والشيخ بوعمامة و منها: إنه رؤيوي/ سبحته التي لاتفارق معصمه بصفته قسا/يبحث عن الحقيقة/يحسن اللغة العربية[24].

ـ الشخصية المضطهدة:

لم يأت انتقاء السّارد لشخصية القس ألكسندر وإدراجها في حيز سردي خاص بمقاومة الشيخ بوعمامة صدفة ، بل لما تضمره هذه الشخصية من أنساق ،كان بإمكان السّارد أن يحصر حضور هذه الشخصية في المشاهد أو الأحداث ذات الصلة التاريخية والصوفية بشخصية إيزابيل فقط ،لكنها تُستحضر استرجاعا من طرف شخصية إيزابيل وفي حضرة قطب المقاومة الشيخ بوعمامة ،ذلك لأنّ إيزابيل تراءت لها في تلك اللحظة حدّة التلاقي الروحي وحدّة الاضطهاد السياسي والأيديولوجي،فكلاهما ـ الشيخ بوعمامة وألكسندر ـ تتمثلان طبقتهما الاجتماعية ،الواقعة تحت حيف الآخر المختلف فكريا ودينيا،بمسعاه الإقصائي للآخر المغاير له واضطهاده،فيسرّب السّارد ظاهرة الاضطهاد الديني والعرقي،مسترجعا حديث ألكسندر لإيزابيل وهو في منفاه بجنيف.:" اعلمي يا عزيزتي إيزابيل ...يا صغيرتي هكذا كان قدرنا نحن المؤمنين الأرمن ،فمنذ أن انقطعتُ لخدمة المؤمنين في هذه الكنيسة وأنا أشعر أنني قريب من الرب...حين أخلو بنفسي في هذا المكان المقدس أناجي الربّ أشعر أنني بين يديه يراني ويسمعني..تركت موطني وأهلي بأرمينيا ثم أحبابي بروسيا هربا من بطش البلاشفة.."[25]

لقد نذرت هاتان الشخصيتان حياتهما لخدمة الإنسانية،فنكران الذات في عرف المؤسسة الصوفية مرحلة يتوجب على المريد عبورها،لبلوغ رؤية المطلق وممارسة نشوة السعادة الروحية.هذا وإن كان أسلوب مقاومة الآخر الإقصائي مختلفا عند كل من شخصية الشيخ بوعمامة والقس ألكسندر،فالشيخ بوعمامة نذر حياته لمقاومة الآخر الغازي،وأما ألكسندر فنذر حياته لخدمة المؤمنين داخل الكنيسة.وبهذا تُحيك رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث "واقعيتها من تضمينات توثيقية تاريخية استرجاعية ضمن سجل حكي العارفة إيزابيل.فالرواية بصفتها فنا لغويا لايمكنها أن تتخطى السياقات التاريخية.

تؤكد رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" قدر المنجز الروائي الجزائري في استفزازه لذاكرة الثورة الجزائرية وتحيين أحداثها البارزة في ذاكرة القارئ المعاصر،وصعوبة الانفكاك الكلي للإبداع الجزائري المعاصر عن المضامين الثورية، وإن كانت قد تجددت مناولة هذه المضامين في أدواتها وأشكالها التعبيرية ورؤاها الفكرية والنقدية،فكل" أدب لا يعكس واقع الصراع الثوري للمرحلة هو خارج التاريخ"[26] ،وبالتالي يمكن القول قَدَر الرواية أن تتناص مع التاريخ،والتاريخ قدرها.

وعبر لعبة التوثيق التاريخية هذه الممتدة الخيوط بين شخصية الشيخ بوعمامة وإيزابيل وألكسندر،يحرص الروائي على ترسيخ النسق الصوفي الكرامي لتجسير لغة المتخيل وعجائبيته إلى حدّ التماهي مع الخطاب الكرامي، الذي يعدّ مكونا قارا في النصوص الصوفية.ففي رواية"سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث" يعمد الروائي في كل مرة يستدعي فيها شخصية ألكسندر إلى تلبيس لغة الحكي خرقة التصوف وحدث الكرامة أو روحانيته قصد إشباع الحدث المحكي الأسلوب الصوفي.فاستدعاء شخصية القس ألكسندر يلازمها دوما البعد الروحي لقداسة هذه الشخصية حفاظا من السّارد على توازن تراسلات الشخصيات الثلاث ضمن دائرة المحكي الصوفي..جاء في الرواية "ففي لحظات الجذب والسكر الصوفي الروحي كانت تأتي بحركات مسرحية عجيبة وهي تدور قافزة في الفراغ،وهي تفتل جسدها بشكل مغزلي غاية في التعقيد ولكن بخفة ورشاقة ...ولما سألتها عن سرّ تلك الحركات العجيبة ،أخبرتني أنّ أباها الروحي ألكسندر تروفيمسكي كان قد علّمها تلك الحركات الرياضية.."[27].فمن هذا يتضح جليا درجة امتصاص الرواية الصوفية المعاصرة لعجائبية النصوص الصوفية الكرامية ،لاستثمارها إبداعيا وفنيا في تأسيس نص سردي صوفي مغاير أساسه التعجيب والإدهاش، ولمس جوهرالأشياء وروحانيتها لاقدسيتها من منظور ديني.

يحيلنا المقطع السردي السابق إلى تشظي الأحداث السردية ذات الصلة بخوارق وكرامات بطلة الرواية إيزابيل ،فبعد أن رسّخ الراوي في ذهن القارئ صوفية شخصية إيزابيل وعجائبية كرامتها على امتداد مساحة القراءة السابقة لهذا الحدث ،يأتي هذا المشهد السردي من جهة أخرى ليرفع عن هذه الشخصية عجائبية كرامتها ـ حركة دورانها في الفراغ ـ مفسرا طبيعة ذلك الحدث بكونه حركات رياضية لقّنها أياها أبوها ألكسندر في الكنيسة بجنيف.وتفسيرها من وجهة أخرى على أنها ممثلة مسرحية استعراضية بارعة :"وهم يتابعون بذهول الحركات المسرحية التراجيدية وقد ظهرت سيدتي كممثلة مسرحية محترفة ...وكنت أنا الوحيد من بين الفقراء أدرك قدرات سيدتي الإبداعية وموهبتها الفذّة في التمثيل ،وخاصة أسلوب الاسترجال والعفوية التي اكتشفتها فيها حين كنا وسط رمل القنادسة..."[28] .بقدر ما تتصف الحكاية الصوفية بغرابتها وشذوذها ،وإدهاشها وفتنتها،لكنها قد تكون صادمة إلى حدّ خلق ارتياب وتردد في واقعيتها لدى نوع معين من المتلقين[29].

هل تحول الراوي المريد في هذا المشهد الإبداعي إلى مرتدّ ،مصاب بالشّك والريبة في شطح قطبه؟أم من شدة إعجابه واندهاشه لم يجد في واقعه ما يقترب من غرابة حركاتها غير الحركات الرياضية المحترفة والمشاهد المسرحية التراجيدية ؟ وبهذا التفسير الرياضي والمسرحي للفعل الكرامي ـ حركة الدوران في الفراغ ـ يتحول الحدث لدى المتلقي من مستواه العجائبي إلى مستوى الغرائبي.إنّ زوال الفانتاستيكي بهذا التفسير يُظهر أنّ الفانتاستيكي "ليس نوعا مستقلا في ذاته ،بل يوجد في الحدود بين جنسين هما: العجائبي والغريب"[30].فرواية"سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث"،رواية صوفية في أسلوبها ومعجمها،ما أضفى على أحداثها وشخوصها البعد الميتافيزيقي المتجلي في كرامات وعجائبية أحداثها،وهي في الوقت ذاته رواية تاريخية،أُسّس متخيلها منذ البداية على شخصيات أُثبت وجودها تاريخيا،متغذية بالعجيب والخارق من شتّى مصادره: الكرامة الصوفية الحكاية الخرافية الأساطير...إضافة إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

يبدو أنّ السرد الصوفي في هذه الرواية يسعى إلى" السمو بالإنسان الصوفي من وضعه الطبيعي والإنساني إلى مرتبة الولاية،أي من تحديده الدنيوي ...إلى مرتبة القدسية ...إلى حدود الخرق والانتهاك.."[31]وهذا ما تمثّله السّارد في شخصية إيزابيل،فكل الأحداث المنجزة من طرف الشخصيات الأقطاب ،لن يجد لها المتلقي تبريرا من الواقع ،إذ يصعب داخل سرد الكرامة" الصوفية تبرير تدخل القدسي في حياة الإنسان الصوفي ،فهو تدخل مفاجئ وغالبا ما يتم دون علم الصوفي ذاته"[32].إلا أنّ في المشهد

السردي السابق يعمد السارد إلى إيجاد تبرير يفسر به الحدث الكرامي "الدوران في الفراغ"رغم أن الخارقة "ميثاق بين الصوفي وأتباعه وسدى ولحمة تضامنهم..."[33].

وبهذا يكون النص الروائي الصوفي المعاصر قد كشف عن قدراته الخلاقة في استثمار الطاقة الفكرية والإيديولوجية للعبة التوثيق التاريخية ،التي ارتبطت تاريخيا بالمقدس .كما كشفت عجائبية النصوص الكرامية عن قدراتها داخل النصوص الروائية التي تسربت إليها في التفتيق والتذويب والتركيب والتجاوز والصوغ بهدف الإدهاش والتعجيب.[34]

فهدف السّارد من رصد كل هذه المتممات لبناء شخصية القس ألكسندر الروحية هو التأكيد على المرجع الروحي الذي اغترفت منه إيزابيل منطلقاتها الروحية للبحث عن الحقيقة.لقد اسهمت تلك المتممات في تشكيل شخصية إيزابيل الصوفية العرفانية وشخصية بوعمامة ،بملئها لذلك القالب الذي صممه السّارد لتشكيل شخصية إيزابيل النامية وشخصية بوعمامة، التي تشكلت متدرجة ضمن خط سير السرد، مكتسبة دلالتها من مجموع أفعالها واشتغالاتها ضمن دائرة الحكي،فالسمة " الدلالية للشخصية ليس معطى ثابتا ،وأن الأمر لا يتعلق فقط بالتعرف عليها ،ولكنه يتعلق بالبناء الذي يتم بالتدرج ،خلال مرحلة القراءة ،وزمن المغامرة التخييلية عبارة عن شكل فارغ تملؤه محمولات مختلفة (أفعال أو أخبار) "[35].فاستحضار شخصية ألكسندر بمحمولها الروحي هو استحضار فني إبداعي أسهم في تعميق وترسيخ البعد الصوفي والإنساني لشخصية إيزابيل وبوعمامة ،في مقابل إكراهات الواقع.

4- خاتمـــــة:

يُسند حكي الأحداث التاريخية الثورية والسياسية لمقاومة الشيخ بوعمامة للبطل الصوفي "إيزابيل" في رواية "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث "بلغة مهادنة شعريا ودلاليا، يَخفُّ فيها سلطان الرمز والإشارة،وذلك لشدّ أواصر العلاقة السردية بين الصوفي والتاريخي ،ما أكسب النص الروائي طابعه السردي الصوفي المعاصر.

حقق التلوين الفنتاستيكي والعجائبي/الكراماتي لبعض أحداث المقاومة طابعها الصوفي،والذي من خلاله اكتسب المتن السردي الروائي هويته كما منحه طابعه الصوفي .وهذا التحول أضفى أسلوبا مغايرا على خطاب الحكاية وأحداثها التاريخية المحققة،سواء على مستوى الشخصيات الثلاث؛الشيخ بوعمامة وإيزابيل والقس ألكسندر،أم على مستوى النسيج اللساني المعجمي للمتن،كل ذلك في تفاعل وتراسل فكري وروحي وسياسي ثوري.

تشترك الشخصيات الثلاث بأحداثها الفاعلة ؛الشيخ بوعمامة وإيزابيل والقس ألكسندر في رفد حدث المقاومة صوفيا ودلاليا وجماليا ،وذلك باستدراج التاريخي وسهره في فضاء الصوفي الكرامي .شخصيات وُسمت بالتقوّى والمعرفة والثورة .وقد اتسمت أيضا ببعدها التسامحي ومواقفها الإنسانية المنفتحة على الآخر.

5ـ هوامش البحث

ـ عبدالقادر عميش: "سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث"،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،تيزي وزو ،الجزائر. 2019، ص:7 [1]

[1] بشير خلف : قراءة في كتاب الطريق إلى القنادسة أو في ظلال الإسلام الدافئة ،الحوار المتمدن العدد 4039 ،22، 3،2013 ahewar.org

[1] – تزفيتان تودوروف: مقولات السرد الأدبي، ص41، نقلا عن حسينة بوعاش: إستراتيجيات التجريب و التلقي في روايات واسيني الأعرج، أطروحة الدكتوراه، إشراف أ.د نورة بعيو ،جامعة مولود معامري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات ، ص152.

ـ عبدالله من عتو: أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي,مطبعة الأمنية الرباط.2014. ص6 [1]

– الرواية، ص100. [1]

[1]. ★ إيزابيل إبرهارت: كتابات على الرّمال (نصوص و ملاحظات و يوميات). الأعمال الكاملة، الجزء الأول:اعداد وتعليق وتقديم: ماري أوديل دو لاكور،وجون روني إيلو، تمهيد: إيدمود شارل رو، ترجمة:عبدالسلام المودني ،مراجعة :صالح الأشمر.منشورات الجمل، بيروت لبنان.2014

. ينظر كتابات على الرمال: المرجع نفسه.ص: 203 [1]

★كانت إيزابيل إبرهارت تلقب بسي محمود تلبس الزي الرجالي التقليدي مما سهل عليها حضور المساجد والزوايا والاجتماع بكبار مشايخ الصوفية كما سهل عليها مظهرها الرجالي التنقل عبر أرجاء بلدها بالتبني كما تسميه أي الجزائر.

ـ المرجع نفسه.ص 204 [1]

[1] – ينظر الرواية، ص103/102.

. عبدالله العروي: مفهوم التاريخ ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،ط4، 2005، ص: 81 [1]

[1] – الرواية، ص:105.

[1] – ينظر الرواية، ص105.

ـ عبدالسلام أقلمون : الرواية والتاريخ ،سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،ط1، 2010، ص: 10 [1]

ـ عبدالحميد عقار. الرواية المغاربية ،تحولات اللغة والخطاب.شركة النشروالتوزيع . مدارس . الدار البيضاء المغرب.ص:99 [1]

. [1] بن حشفة خديجة: عجائبية البنية السردية في قصص الكرامة الصوفية ،جامع كرامات الأولياء ـ للنبهاني ـ أنموذجا، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي ،إشراف أ.د. عبدالقادر عميش.جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله ،2018/2017. ،ص: 202

. الرواية ،ص: 99 [1]

ـ عبدالفتاح كيليطو: الولى والجمل ،ضمنه كتاب (التاريخ وأدب المناقب).ص44.نقلا عن عبدالله بن عتو:أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي، مرجع سابق.ص:101 [1]

ـ الرواية .ص: 107 [1]

. قاسم عبده: الرواية التاريخية عند محمد فريد أبو حديد ،مجلة :أدب ونقد، ع: 144، أغسطس 1998، ص:43/42 [1]

ينظر سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن ، السرد ،التبئير)،المركز الثقافي العربي، ط3. 1997. ص:293 [1].

ـ سورة الحجر.الآية:29 [1]

. الرواية، ص 15/14 [1]

ـ الرواية، ص 115/114 [1]

ـ ينظر الرواية، ص 178...183 [1]

ـ الرواية ،ص:180 [1]

ـ إدريس زايدي :ملامح النقد المغربي الحديث في مجلة الثقافة الجديدة،دراسات نقدية،مطبعة وراق بلال، المغرب،2018، ص:75 [1]

. الرواية.ص 197/196 [1]

[1] . الرواية. ص:196

ـ ينظر عبدالحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية ، الحب ـ الإنصات ـ الحكاية ، إفريقيا الشرق.الدار البيضاء ، المغرب. 2007. ص:272 [1]

.. عن عبدالحق منصف، المرجع نفسه، ص273, **T.Todorov ; Introduction à la littérature Fantastique – paris–seuil.1970–p.46** [1]

ـ ينظر عبدالله بن عتو: أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي،مرجع سابق،ص 162/161 [1]

. عبدالحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية ، الحب ـ الإنصات ـ الحكاية.مرجع سابق.ص:270 [1]

. محمد مفتاح :دينامية النص،تنظير وإنجاز.ط1 ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء بيروت، 1987،ص: 141 [1]

ـ ينظر عبدالله بن عتو: أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي،مرجع سابق،ص 162/161 [1]

ـ [1] رولان بارت ولفغانغ كيزر، وين بوث،فليب هامون :شعرية المحكي،إشراف جيرار جينيت وتزفتان تودوروف.تر: غسان السيد،الجمعية التعاونية للطباعة،2001، ص:152.

6ـ قائمة المراجع:

ـ عبدالقادر عميش:سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو الجزائر. 2019

ـ بشير خلف : قراءة في كتاب الطريق إلى القنادسة أو في ظلال الإسلام الدافئة ،الحوار المتمدن العدد 4039، 22، 2013، 3 ahewar.org..

– تزفيتان تودوروف: مقولات السرد الأدبي، ص41، نقلا عن حسينة بوعاش: إستراتيجيات التجريب و التلقي في روايات واسيني الأعرج، أطروحة الدكتوراه، إشراف أ.د نورة بعيو ،جامعة مولود معامري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات .2020/2019

. عبدالله من عتو: أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي,مطبعة الأمنية الرباط.2014. [1]

[1]ـ ★ إيزابيل إبرهارت: كتابات على الرمال.ج1. ـ إيزابيل إبرهارت :كتابات على الرمال، الأعمال الكاملة، الجزء الأول:اعداد وتعليق وتقديم: ماري أوديل دو لاكور،وجون روني إيلو تمهيد: إيدمود شارل رو، ترجمة، عبدالسلام المودني مراجعة ،صالح الأشمر.منشورات الجمل، بيروت لبنان.2014

[1] . عبدالله العروي: مفهوم التاريخ ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،ط4، 2005

ـ عبدالسلام أقلمون : الرواية والتاريخ ،سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،ط1، 2010،

ـ عبدالحميد عقار. الرواية المغاربية ،تحولات اللغة والخطاب.شركة النشروالتوزيع . مدارس . الدار البيضاء المغرب. [1]

[1] . بن حشفة خديجة: عجائبية البنية السردية في قصص الكرامة الصوفية ،جامع كرامات الأولياء ـ للنبهاني ـ أنموذجا، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي ،إشراف أ.د. عبدالقادر عميش.جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله ،2018/2017. ،

ـ عبدالفتاح كيليطو: الولى والجمل ،ضمنه كتاب (التاريخ وأدب المناقب).ص44.نقلا عن عبدالله بن عتو:أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي

[1] . قاسم عبده: الرواية التاريخية عند محمد فريد أبو حديد ،مجلة :أدب ونقج،ع: 144، أغسطس 1998،

[1] ينظر سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن ، السرد ،التبئير)،المركز الثقافي العربي ط3. 1997.

[1] ـ سورة الحجر.الآية:29

ـ إدريس زايدي :ملامح النقد المغربي الحديث في مجلة الثقافة الجديدة،دراسات نقدية،مطبعة وراق بلال، المغرب،2018، [1]

ـ ينظر عبدالحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية ، الحب ـ الإنصات ـ الحكاية ، إقريقيا الشرق.الدار البيضاء ، المغرب. 2007. [1]

T.Todorov ; Introduction à la littérature Fantastique – paris- .
[1] seuil.1970-

. محمد مفتاح :دينامية النص،تنظير وإنجاز.ط1 ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء بيروت، 1987 [1]

. [1] رولان بارت ولفغانغ كيزر، وين بوث،فليب هامون :شعرية المحكي،إشراف جيرار جينيت وتزفتان تودوروف.تر: غسان السيد،الجمعية التعاونية للطباعة،2001،

هوامش البحث:

[1]. عبدالقادر عميش :سكوت...العارفة إيزابيل تتحدث،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو، الجزائر. 2019، ص:7 [1]

[2] بشير خلف : قراءة في كتاب الطريق إلى القنادسة أو في ظلال الإسلام الدافئة ،الحوار المتمدن العدد 4039 ،22، .3 ، 2013 www.ahewar.org/debat.

[3] – تزفيتان تودوروف: مقولات السرد الأدبي، ص41، نقلا عن حسينة بوعاش: استراتيجيات التجريب و التلقي في روايات واسيني الأعرج، أطروحة الدكتوراه، إشراف أ.د نورة بعيو ،جامعة مولود معامري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات 2019/ 2020، 2ص152.

. عبدالله من عتو: أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي,مطبعة الأمنية، الرباط،.2014. ص6 [4]

– الرواية، ص100. [5]

[6]. ★ إيزابيل إبرهارت: .كتابات على الرمال، الأعمال الكاملة، الجزء الأول:اعداد وتعليق وتقديم: ماري أوديل دو لاكور،وجون روني ، تمهيد: إيدمود شارل رو، ترجمة، عبدالسلام المودني مراجعة ،صالح الأشمر.منشورات الجمل، بيروت لبنان.2014

. ينظر كتابات على الرمال: المرجع نفسه.ص: 203 [7]

★كانت إيزابيل إبرهارت تلقب بسي محمود تلبس الزي الرجالي التقليدي مما سهل عليها حضور المساجد والزوايا والاجتماع بكبار مشايخ الصوفية ،كما سهل عليها مظهرها الرجالي التنقل عبر أرجاء بلدها بالتبني كما تسميه، أي الجزائر.

. كتابات على الرمال ،المرجع نفسه.ص 204 [8]

[9] – ينظر الرواية، ص103،102.

. عبدالله العروي: مفهوم التاريخ ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب ،ط4، 2005، ص: 81 [10]

[11] – الرواية، ص:105.

[12] – ينظر الرواية، ص105.

ـ عبدالسلام أقلمون : الرواية والتاريخ ،سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،ط1، 2010، ص: 10 [13]

. عبدالحميد عقار: الرواية المغاربية ،تحولات اللغة والخطاب ،شركة النشروالتوزيع .،مدارس . الدار البيضاء ، المغرب ،ص:99 [14]

. [15] بن حشفة خديجة: عجائبية البنية السردية في قصص الكرامة الصوفية ،جامع كرامات الأولياء ـ للنبهاني ـ أنموذجا، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي ،إشراف أ.د. عبدالقادر عميش.جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله ،2018/2017. ،ص: 202

. الرواية ، ص: 99 [16]

. عبدالفتاح كيليطو: الولى والجمل ،ضمنه كتاب (التاريخ وأدب المناقب).ص44.نقلا عن عبدالله بن عتو:أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي مرجع سابق.ص:101 [17]

ـ الرواية .ص: 107 [18]

ـ قاسم عبده: الرواية التاريخية عند محمد فريد أبو حديد ،مجلة :أدب ونقد ،ع: 144، أغسطس 1998، ص:43/42 [19]

ينظر سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن ، السرد ،التبئير)،المركز الثقافي العربي ط3. 1997. ص: 293 [20].

ـ سورة الحجر.الآية :29 [21]

. الرواية ص 15/14 [22]

ـ الرواية، ص 114/ 115 [23]

ـ ينظر الرواية، ص 178...183 [24]

ـ الرواية، ص: 180 [25]

ـ إدريس زايدي : ملامح النقد المغربي الحديث في مجلة الثقافة الجديدة،دراسات نقدية،مطبعة وراق بلال، المغرب،2018، ص75 [26]

. الرواية.ص 197/196 [27]

. الرواية. ص: 196 [28]

29. ينظر عبدالحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية ، الحب ـ الإنصات ـ الحكاية ، إفريقيا الشرق.الدار البيضاء ، المغرب. 2007. ص:272.

ـ عن عبدالحق منصف، المرجع نفسه، ص273, T.Todorov ; Introduction à la littérature Fantastique – paris-seuil.1970-p.46 [30]

ـ ينظر عبدالله بن عتو: أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي،مرجع سابق،ص 161/،162 [31]

. عبدالحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية ، الحب ـ الإنصات ـ الحكاية. مرجع سابق.ص:270 [32]

. محمد مفتاح :دينامية النص،تنظير وإنجاز،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء بيروت،1987، ط1،ص: 141 [33]

. ينظر عبدالله بن عتو: أدب الكرامات،من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي،مرجع سابق،ص 162/161 [34]

ـ [35] رولان بارت ولفغانغ كيزر، وين بوث،فليب هامون :شعرية المحكي،إشراف جيرار جينيت وتزفتان تودوروف.تر: غسان السيد،الجمعية التعاونية للطباعة،2001، ص:152.